

طرائق التعمية عند العرب - نماذج من التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية والرياضيات -

Methods of cryptography among the Arabs - models of cognitive integration
between the sciences of the Arabic language and mathematics-

عبد العزيز العيادي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف² (الجزائر)

bouzizlayadi70@gmail.com

درار عجوج

جامعة محمد لمين دباغين سطيف² (الجزائر)

di.adjoudj@univ-setif2.dz

تاريخ القبول: 2024/12/09

تاريخ الاستلام: 2024/10/02

ملخص:

برع العرب في علوم كثيرة، وابتدعوا وأصلوا لنظريات عديدة، وألبسوا كثيرا منها لباس اللغة، بل كانت ميزتهم الفريدة مؤاخاة علوم اللغة مع علوم الرياضيات، وقوننتها وفق منهج منطقي رياضي؛ تتلاقى فيه نظريات الإحصاء والاحتمالات مع العروض والصرف والنحو والمعجم، ليكون دَرّة هذا التآلف علوم ونظريات بذورها عربية وترتبتها عربية. نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى تبيان أحد درر هذا التآلف المعرفي بين علوم اللغة العربية وعلوم الرياضيات، ألا وهو علم التعمية؛ الذي مبدؤه الخليل بن أحمد، وطوّره الكندي وابن دنينير وغيرهم، ليصل إلينا الآن فيما اصطلح عليه علم التشفير. وسنبين مجموعة من النماذج التي تناولت هذا العلم وأصلت له؛ من مخطوطات وكتب وأشعار، ونمثّل لها بأمثلة نوضّح فيها السمة الرياضية في التعمية عند العرب.

الكلمات المفتاحية: التعمية، الرياضيات، التأريخ العددي، حساب الجمل، الإحصاء.

Abstract:

The Arabs excelled in many sciences, and invented and established many theories, and dressed many of them in the garb of language. Indeed, their unique feature was the fraternization of the sciences of language with the sciences of mathematics, and their codification according to a logical-mathematical approach; in which the theories of statistics and probability meet with prosody, morphology, syntax and the lexicon, so that the pearl of this harmony is sciences and theories whose seeds are Arabic and whose soil is Arabic. Through this research paper, we seek to clarify one of the pearls of this cognitive harmony between the sciences of the Arabic language and the sciences of mathematics, which is the science of cryptography; whose principle was Al-Khalil bin Ahmed, and was developed by Al-Kindi, Ibn Daninir and others, to reach us now in what is known as the science of

* درار عجوج، مخبر: المقاربات التداولية وإستراتيجيات الخطاب.

encryption. We will show a group of models that dealt with this science and established it; from manuscripts, books and poems, and we will illustrate them with examples in which we clarify the mathematical feature of cryptography among the Arabs.

Keywords: Cryptography; mathematics; numerical dating; abjad calculation; statistics.

1. مقدمة:

إنّ الفاحص المدقّق والمتتبّع الحاذق سيدرك أنّ أي محاولة لفهم اللغة ومختلف علومها خارج الرياضيات هي محاولة فاشلة، وأنّ علومها مثل العروض والخطّ والتعمية كان لزاما علينا أن نردفها بالرياضيات؛ فاللغة جسدها والرياضيات روحها.

ومن المجحف أن نحاول ترويض هذه العلوم (الصرف، والنحو، والخط، والمعجم، والصوتيات، والتعمية..) بعيدا عن الرياضيات، وأن نحصيها دون معرفة بالحساب، فالعروض دوائر رياضية تتقاطع لتنبثق منها بحور شعرية تنتظم أوتادها وأسبابها لتحفظ إيقاع البحور. والموسيقى شبيهته نسب رياضية متناسقة منتظمة. وأما الخط العربي فنظامه النسبة الفاضلة التي وضعها ابن مقلة، وأداته الهندسة، وأسسها النقطة والدائرة والخط المستقيم. وأما الصرف فدّرته الميزان الصرقي؛ تجريد رياضي يحقّق مفهوم الباب، ويفصل بين الظواهر الصوتية والنحوية، وبين الظواهر الصوتية في حدّ ذاتها من إدغام وقلب وحذف ومماثلة، وأساس منطقي في التصنيف يفرّق الأسماء عن الأفعال، والمشتق عن الجامد، والدخيل عن الأصيل، والبناء العربي الفصيح عن البناء الأعجمي. وأما النحو فنظامه العجيب في حركات إعرابية تنتقل من حال إلى أخرى، وتراكيب اسمية أو فعلية في قوالب، فهو الآخر شرب من معين الرياضة فكان في تجريداته وقوالبه، وظاهره يحتاج إلى مؤنس ألا وهو الرياضة. وأما المعجم فكان تشريّه بالرياضة واضحا جليّا وخاصة مع مدرسة التقليليات الصوتية؛ والتي نهج فيها الخليل نمجا رياضيا واضح المعالم من خلال كتابه العين، فأحصى مواد اللغة العربية وفق نظرية التبادل والتوقيفات، وضبط المهمل والمستعمل فيه وفق معايير كمية منها بناء الكلمة وطولها، وتآلف الحروف أو تنافرها، ووضع ترتيبا حديثا؛ كان أول من ابتدعه وهو الترتيب الصوتي، واعتمد في تأسيسه على عمق من الحلق إلى الشفتين، وهذا المعيار هو الآخر معيار كميّ رياضيّ.

أما التعمية فمبدؤها التجريد الرياضيّ قلبا وزيادة وإعاضة ونقصانا وإبدالا وإخفاء، تتآلف مع الصرف والصوتيات والمعجم والإحصاء والتاريخ والخط والترجمة والآثار والأمن والخطوط والعروض والقافية والبيان.

إنّ كلّ هذه العلوم لها أصول؛ حذق فيها الخليل ونبغ، وجعل الرياضيات أساس كلّ علم يتبدعه، وهذه الأصول والمعارف منبعها ثقافته الرياضيّة وحسّه الموسيقي وخلفيته الدّينية؛ ثلاثية ساعدته أن يستنبط معايير وأحكاما وفق منهج رياضيّ مميّز، وأن يكون سبّاقا لها، وليس ببعيد عنه معرفته بأحكام القافية وتواتر الحروف وتآلفها وتنافرها، وحذقه بالترميز، وابتداعه علم العروض وبحوره، وأحصى ما أمكن من المواد اللغوية في كتاب العين، معتمدا نظرية العملي الرياضيّة، مجسّدا مفاهيم رياضية منطقية كلاحتمالات والإحصاء والمجموعة والقياس والتباديل والدائرة والرمز والكلم والمعادلة .

كما أنّه وظّف مفهوم الرمز؛ وهو تجريد رياضيّ يمثّل أجود ما جاء به، فرمز للأسباب والأوتاد بالحركات والسكنات، كما رمز للحركات وجعلها أبعاض حروف المد.

يمكن أن نقرّ أنّ اللغة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالرياضيات، وأنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي يمثل قمة النماذج البشرية التي آخت بين العلوم اللغوية والعلوم الرياضية، وفتحت باباً نادراً ما يلجّه الباحثون وهو باب الدراسات البينية؛ وأي دراسة لعلوم اللغة العربية خارجه هي دراسة فقدت بوصلتها نحو الحقيقة تظل قاصرة عن فهم كنه هذه اللغة، فالتنظر إليها من زوايا عديدة ومناظير مختلفة يحقّق المبتغى وهو الرقيّ بها ونشرها.

تمثل التعمية درساً بينيّاً برع فيه العرب، بل سبقوا إليه غيرهم، فألّفوا فيه وصنّفوا المصنّفات؛ شعراً ونثراً، وآلّفوا بين الرياضيات واللغة، فكان الناتج سحراً. وسخّروها في سبيل فك المعنى وصار واجباً وفرض عين على كلّ مهتم بفنون التعمية أن يتقن العروض والقافية والصرف والنحو والبدیع، عالماً بأصول التعمية من إحصاء للحروف وتواترها، وتآلفها وتنافرها، وأن يتّبع الأصول التي وضعها الخليل ويردّفها علوم الرياضة. فكان العرب في هذا الفن رواداً ومؤصلين لهذا العلم، فقد اقتفوا أثر الخليل وطوّروا أفكاره في هذا المجال الخصب .

ومن هنا نقول: إنّ العرب بلغوا مبلغاً عظيماً في الإبداع، وارتقوا سلّم الصنّاعة اللغوية حتى دنت لهم العلوم والمعارف، وانتظمت بين أيديهم الفنون والنظم وأصول الأنغام والمعازف، وترعرعت في رياضهم علوم الرياضة، فكانوا لها روافداً وحياضاً. فأحكموا الحساب جمعاً وطرحاً وإعاضة، وجدّدوا في الرمز شرحاً وإفاضة، وأودعوا فنون الأدب معاني وألفاظاً تدارسوها، وأصلحو الكتابة والمنطق وآلّفوا الأنحاء والمنطق، وحجّبوا باللغة رياضة المعنى، وجنّوا التاريخ والمسمى، وجعلوا الكلام سرّاً، ومعانيه خفاءً وستراً، ونقلوه في رسائل آمنين براً وبحراً، فأخوا الحساب وأجدد هوز، وأوثقوا العروة بين الحرف واللغز، وحذوا الصدور وأدلّوا عليها بالعجز، فكانت للملوك حرزا ومحتزاً، فنظموا الأشعار على بحر الكامل والرجز، وأودعوا الأسرار حافظة ومكتنزا، موزونة مضبوطة منقوطة وغير منقوطة، مبسطة المعاني وغير مبسطة، وصنّفوا الكلم في توافيق وتباديل، وأبنية وتفصيل، وألغزوا الكلام في قبور وتمائيل، ودققوا النظر في تواتر الحروف، وضبطوا مستعمل الألفاظ وأسباب الحروف، ودخيلوا الكلم الخارج عن المألوف، وأجروها مجرى المقادير في الوزن والنسبة مجرى العقاقير، وقنّوها مع التعليل والتبرير، ومالوا بالمعاني ميل اليربوع بين النافقاء والقاصعاء، فجادوا من منهل مختلف ألوانه، وفطروا علماً بكرة ثابتة أصوله، علم التعمية وفك المعنى، وكتابة السر، وترميز المسمى، فإما حروفه مستبدلة بأزواج، أو مكتوبة بماء الزاج، أو مقلوبة معكوسة على الزجاج، كلها طرائق منثورة في السير، ومحفوظة في فهرسات الأثر، لطائف في صبح الأعشى وفي العقد الفريد ظرائف، وفي محاضرات الراغب والشوق المستهام تفصيل وإجمال، وفي الأمالي والطبقات أمثال وأعلام، وفي هدية العارفين خبايا، وفي أعيان العصر ورسائل الكندي سر وخبايا، وفي البصائر إحصاء ورواية، وفي البرهان وشمس العرب ومعجم الأدباء سير وأخبار، وفي الملاحن تورية وأشعار، وفي الأجوبة السرية إشارات، والألغاز النحوية أمارات، وفي الأشباه والتسهيل أقاويل وتأويل، ونهاية الأرب وكنز الأسماء محاجة، وفي الدياجي ودر التناسخ معاية، وفي البيان والتبيين ألف جواب، وفي المقامات جنون أبيات، وفي المقفى الكبير ودرة الغواص ملاحن وتحوير، وفي أعيان العصر والدر الكامن خبايا النثر، وفي اللزوميات محاسن وتقفيات، وفي مفتاح السعادة أحاجي وتوريات، ورمس في أحاجي الزمخشري ولغز في أمالي ابن الشجري وفي المؤلف لابن عدلان حل الترجمة ومدمجها، وفي مفتاح الكنوز لابن الدريهم ضروب الإخفاء ومجملها، وفي مقاصد الفصول حلول العويس والأصول..

2. نماذج من التعمية في كتب الأثر ومؤلفات العرب في الشعر والنثر:

1.2 أدب الكاتب للصولي:

يشير الصولي إلى أحد أسس التعمية وهو استبدال الحروف بكلمات تدل على الحيوانات، وقد أشار إلى ذلك في عنصر الترجمة في المكاتب، أو استبدالها بمنازل القمر، وهي ثمانية وعشرون منزلة مضافا إليها القمر، يقول: إذا أردت أن تكتب (أنا) كتبت: (الشرطان، سعد، الأخبية، الشرطان)، وإذا أردت أن تكتب (خارج) تقابلها: (الذراع، الشرطان، الجبهة، الهقعة)، وهذا كله ترميز اعتمد استبدال حرف بكلمة دالة، مثله مثل ترميز الأرقام الرياضية، أو تعويضها بأشكال هندسية ورسوم معيّنة¹.

2.2 الموجز في الشعر المغربي المألّف لسعيد بنفرحي:

جمع الباحث في مؤلفه نماذج متنوعة من الشعر المغربي المألّف من العصر الموحد، معتمدا أساسا زمنيا في ترتيبها، وقسمها تقسيما موضوعاتيا²، وهذا النوع من اللغز يقتضي فهم العروض والقافية، وإدراك أسرارها، والحدق في بحور الشعر العربي، ومختلف الزخافات والعلل التي تطرأ عليها، والتمكن من مقاليد البلاغة.

3.2 كنز الاختصاص ودرة الغواص في معرفة أسرار علم الخواص للجلدي:

نسخة مخطوطة مصورة بيّن في آخرها نوعا من أنواع التعمية ولكن قصر التعريف به، ولم يستوف أصول التعمية، فيقول في آخرها: "نوع يكشف كلّ مبهم من المغطيات والأشكال والطلسمات والحروف والقلقطاريات، ودواوير الكواكب والفلازات، وأنواع الرموز والمخبات، وسائر الخطوط القديمة والمصطلحات، وجميع العلوم والمستترات"³.

2.4 كتاب علم التعمية واستخراج المعنى عن العرب - ج1 دراسة وتحقيق لرسائل الكندي وابن عدلان:-

يمثل هذا الكتاب الحديث درة ما جاءت به الدراسات الحديثة العربية في موضوع التعمية وفك المعنى، ويمثل كنزا معرفيا رصد لنا مجموعة من المخطوطات النادرة في هذا المجال البحثي، وفصل فيه مؤلفوه (محمد مراياتي ويحيى ميرعلم، ومحمد الطيان) قضايا التعمية وطرائق فك المعنى، وعددا من الرسائل النادرة في هذا الحقل المعرفي، تؤصل له وتضبط قوانينه، وتفصل علاقته بالعلوم الأخرى لاسيما الرياضيات، والترجمة، والكيمياء وعلوم اللغة، وما يندرج ضمن هذه الحقول من حساب وجبر وتواتر، وتباديل وقسمة وترميز وغيرها⁴.

تعد هذه الدراسة من أهم البحوث وأوفاهها في حقل التعمية وفك المعنى، وتعود أهميتها إلى كون الباحثين فيها ضمّنوها مخطوطات نادرة في التعمية وفصلوا القول فيها تحقيقا وتقنيّا وتحليلا، وقدّموا لنا على طبق من ذهب موردا شافيا نافعا في أصول هذا العلم، وتناولوا مصطلحات التعمية واستخراج المعنى، وفصلوا القول فيه⁵، وحددوا طرائق التعمية الأساس كتعمية المعاني بالتورية (المعنى البديعي)، والتعمية بمعالجة الحروف والتي يقوم بدورها على طرائق كثيرة كالقلب والتبديل والزيادة والتركيب⁶، وقدّموا ثبنا مفصلا عن أعلام التعمية العرب⁷.

وفصل الباحثون في صلة التعمية بعلوم الرياضة كالجبر والمقابلة والإحصاء والاحتمالات، وتعرّضوا إلى مجموعة من المخطوطات المهمّة التي تعدّ أجود وأثمن ما جادت به القرائح العربيّة في هذا المجال، وتتمثل في:

المخطوطة الأولى: رسالة الكندي في استخراج المعنى:

هي المرجع الأوّل لأصحاب هذا العلم، وقد حصر لنا الكندي مبادئ استخراج المعنى وأوجزها في الصفات الكمية للحروف، والصفات الكيفية والكلمة المحتملة⁸.

وعرض لنا الكندي طرائق استخراج المعنى في مشجر استعرض من خلاله طرائق التعمية الأساس⁹، وأن أهم ما يثير انتباهنا اهتمامه بدوران الحروف ومراتبها في اللغة العربية مستندا إلى إحصائية قام بها، وهذه المراتب صارت أصلا يعتد بها من جاء بعده¹⁰، وليس ببعيد عنه وهو الفيلسوف الموسيقي الذي حذق أصول الموسيقى وأبدع في إيقاعها وجدّد في الرياضة، فكان إحصاء الحروف والاهتمام بالمنهج الكمي في التعمية أمرا لا بد منه ونتاج لمرجعيتة الرياضية، وتفقهه في الحساب والمنطق والموسيقى.

كان لقبه الفخري المشرف (فيلسوف العرب)¹¹، وبلغت كتبه 238، ومنهم من قال إنها على نحو 50 كتابا، وتتنوع بين الفلسفة والموسيقى والحساب والطبيعة والآثار العلوية، والنفس والكيمياء والأخلاق والطقس والعقل والرؤيا¹². إن اهتمامه بهذه الحقول وتفرد في الفلسفة التي تقتضي دراسة الرياضيات جعلته رائد التعمية؛ لأن أصولها في معظمها رياضية، وطرائق فك المعنى تعتمد حذقا ومهارة في الحساب والمنطق، وهذا ما حازه الكندي (معرفة موسيقية - معرفة رياضية - معرفة لغوية) فكان رياضيا بلغت مؤلفاته فيها 45 مصنفا شاملة للمسائل الحسابية والهندسية، والفلسفة عنده لا نصيب إليها دون الرياضيات، فهذه عادة الفلاسفة¹³، وكان موسيقيا يدرك قواعد الأداء الصوتي وقوانين التأليف الموسيقي العربية الأصيلة، كما عني بالإيقاع، والآلات الموسيقية وخاصة آلة العود، حين أضاف لها الوتر الخامس وسماه الزير الثاني، ووضع سلم الموسيقى العربية السائد حاليا المؤلف من اثني عشر نغما، وجدّد إيقاعات النغم الثمانية واعتمدها بعده الفارابي وابن سينا¹⁴، هذه المعرفة الموسيقية كانت معينا له في وضع أسس التعمية والاهتمام بدوران الحروف العربية وإحصائها.

المخطوطة الثانية: رسالة ابن عدلان (المؤلف للملك الأشرف):

تناول فيها قواعد حل الترجمة كحل المدمج والمعنى من الشعر، وعرض في الفاتحة إلى تواتر الكلمات، والعروض والتصاريف والفواصل وغيرها، وهذا النوع من المعنى يحتاج إلى دراية بالعروض وتفاعيل الشعر، وما يلحق بها من زحاف وعلة، وفهم التصاريف والفواصل يعين في فك المدمج منها.

المخطوطة الثالثة: رسالة ابن الدريهم (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز):

كنى عن المعنى بالرموز؛ لأن أساسه الرمز سواء إعاضة أو حذف أو غير ذلك، وقد وضع فيها ابن الدريهم ضرورة معرفة المترجم (المعنى) لدوران الحروف وعددها في كل لغة، وضروب التعمية، وبين أسماء اللغات مع حروفها¹⁵، وابتكر قرص التعمية¹⁶، وفي آخر المخطوطة قدّم ابن الدريهم مثالين علميين في حلّ المعنى¹⁷، وفي هذه الرسالة نموذج مميّز عن طرائق التعمية الحديثة باستخدام القرص.

أما في الجزء الثاني من كتاب التعمية واستخراج المعنى عن العرب (التشفير وكسر الشفرة دراسة وتحقيق لثماني رسائل مخطوطة)، تناول هذا الجزء مقالتين:

- الأولى في جمل القول على حل المترجم المستعملة المستحسنة إلى الخروج.

- الثانية في استنباط التراجم العويصة الغامضة المسدّدة.

صاحب المقاليتين مجهول، تناول فيهما طرائق الاستخراج التي لا تعتمد إلا الإحصاء والطرائق التي تعتمد إلى إحصاء الأشكال، ثم أورد مثالا عن استخراج نص معمي¹⁸، كما تناول طرائق استخراج التراجم العويصة واستخراج الترجمة ذات الأشكال الغريبة التواتر¹⁹.

وتكمن أهمية هذا الجزء في كونه تناول خمس رسائل مخطوطة محققة؛ وهي:

- كتاب البرهان في وجوه البيان* لابن الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب²⁰؛ وتناول هذا الكتاب قضايا كثيرة منها القياس، والاعتقاد، والعبارة، والاشتقاق، وقسمه إلى أبواب سماها البيان الأول، البيان الثاني، البيان الثالث، البيان الرابع وتناول في البيان الرابع الكتابة الباطنة، وفرق بين التعمية والترجمة، وقسم التعمية إلى:

- التعمية بالمعاني المشتقة باستعمال أسماء الطير أو اسم من أسماء الناس وغيرها من الوحش والطير،
- تعمية الكلمة بتغيير مراتب حروفها،
- التعمية بالزيادة والنقصان، والزيادة تكون بحروف أغفال بين الحروف المعماة، وأما النقصان جعل كل حرفين حرفا واحدا.

ثم بيّن طرائق استخراج المعمي والمترجم، وذلك بمعرفة أكثر الحروف وقوعا وهو الألف ثم اللام ثم الميم ثم الباء ثم الواو ثم الباء ثم النون ثم الراء ثم العين...، وأن يعرف ما يأتلف من الحروف العربية كاقتران (من)، و(مع)، و(عن)، و(ما)، و(في)، ومعرفة أكثرها وقوعا؛ وهي: (لا) ثم (من) ثم (إن) ثم (ما) ثم (في) ثم (لم) ثم (عن) ثم (هو)... إلى آخر هذه الحروف، والاستدلال بفواتح الكتب.

ثم بيّن مخارج الحروف وما يأتلف منها في كل مخرج، وما لا يأتلف، وبين طرائق أخرى، مثل: كثرة استعمال العرب للحروف التي تكون بطرف اللسان أو الشفتين²¹.

وأما الشعر فيقول عنه سهل الاستخراج؛ لأنه موزون له قافية، تعيينان في استخراج ما أعمي منه، وقدّم لنا طرائق كثيرة مع التمثيل، وذكر لنا أوزان العروض، وجملا من إشارات تعيين في استخراج المعمي من الشعر²².

- مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة لابن دنيير²³.
- رسالة أبي الحسن بن طباطبا العلوي في استخراج المعمي²⁴.
- رسالة في استخراج المعمي من الشعر صاحب أدب الشعراء²⁵.
- النص المحقق لمخطوطي الجرهمي: أ. من كتاب الجرهمي²⁶.

ب. من رسالة أبي الحسن محمد بن الحسن الجرهمي²⁷.

إنّ ما قدّمه محمد مراياقي ويحيى ميرعلم ومحمد حسان الطيان في هذه الدراسة إنجاز فذ فتح لنا بابا نحو فضاء أرحب في حقل الدراسات التراثية في مجال التعمية وفك المعمي، وهذه الدراسة أماطت اللثام عن مخطوطات نادرة كانت طي النسيان، وأبانت ستر حقائق عدة:

أولها: أن التعمية والتشفير منبته واحد عربية أصوله، فما وترعرع في حضن العربية وعلومها.

ثانيها: أن علوم العربية حين تتآلف مع علوم الرياضة تنتج لنا حقولا معرفية ثرة، وهذا التآلف النير يجعل المعرفة أوضح وأدق.

ثالثها: أن التعمية وفك المعنى تتجاذبها علوم اللغة وعلوم الرياضة، وأي باحث في هذا المجال يوجب عليه الحذق في علم الإحصاء والاحتمال والجبر والهندسة، وفهم علوم اللغة من صرف وصوتيات ومعجميات وعروض وقافية. إن التعمية بذرت عند العرب ورعاها العرب، وسقاها العرب، وقطف ثمارها الغرب، لنرى اليوم علما جديدا يتباهى به الغربيون أسموه علم التشفير، منطلقه علم التعمية العربي، وأسسها لا تتنافى معه وإنما تطابقه، بل إن المتتبع لجذور هذا العلم تاريخيا سيوقن أن العرب أصلوا له، وأهل اللغة وضعوا أسسه، وقصة الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين خير دليل؛ حيث يقول: إنه كتب إلى الخليل كتابا باليونانية، فاعتمد في فهمه فاتحة الكتاب ثم قاس عليها بقية الحروف وبنى أول الحروف على ذلك ومنه عمل كتابه المعنى²⁸.

3. لطيفة من لطائف التعمية في الشعر الجماني في ابتسام النثر الوهراني:

ليس أدل على ما في هذا المؤلف النافع مسكا، وأمين وضوحا مثل هذا التقديم الذي يختصر لنا لب الكتاب، يقول فيه: "وإني خدمت حضرته الفخيمة، وأعتابه الكريمة، بقصيدة أرجوزة سهلة الألفاظ، قريبة المتناول والمأخذ للحفاظ، مستكملة لمقصودها، مُرغمة معاطس حسودها، أعراضها صقيلة، وأغراضها جميلة، إذا تليت ألفاظها أوشكت أن تطرب الميّت، وإذا جليت معانيها كادت أن تنوب عن السراج في البيت"²⁹، ونقل لنا حياة شخص عايشه، فألبس المعاني حلة لغوية تشنف الأسماع، ووصف الوقائع والصنائع وصفا يجعلك بعد كل سطر تقرأه مسحورا سحرا حاللا، يسترقى به السحر، وأردفه نثرا مسجوعا يرغمك الهوى فيه والهوى به، وأهم ما يستوقفنا في كتابه وصفه مسجد المبايعة (مسجد حسن) بقصيدة بين فيه تاريخ الانتهاء من تعليقاته وتنميته وهو سنة ست وتسعين ومائة وألف:

انظر رعاك إله الخلق واعتبر *** لمسجد رائق قد لاح للبشر

وآخرها: قد تم في سنة إن رمت تاريخها *** فهاك أوجز ما يكفيك من خير³⁰

فإذا حسبت حروف الشطر المزبور بحساب الجمل خرج العدد المذكور وهو 1196، كما هو موضح في الجدول التالي³¹:

الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم	الحرف	الرقم
أ	1	ح	8	س	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ص	90	ذ	700
هـ	5	ل	30	ق	100	ض	800
و	6	م	40	ر	200	ظ	900
ز	7	ن	50	ش	300	غ	1000

يمثل الجدول القيمة العددية لكل حرف بحساب الجمل، ويمثل الجدول أدناه حروف الشطر المزبور مع قيمه

العددية:

ف	هـ	ا	ك	أ	و	ج	ز	م	ا	ي	ك	ف	ي	ك	م	ن	خ	ب	ر
80	5	1	20	1	6	3	7	40	1	10	20	80	10	20	40	50	600	2	200

$$+600 + 50 + 40 + 20 + 10 + 80 + 20 + 10 + 1 + 40 + 7 + 3 + 6 + 1 + 20 + 1 + 5 + 80$$

$$200 + 2 = 1196 \text{ هـ.}$$

وهذا النوع من الفن في التأريخ لطيفة من لطائفه تحتاج معرفة بأصول النظم وفنون القافية والعروض معرفة مستفيضة وبعضه معرفة بالرياضيّات؛ لأنه نوع من أنواع التعمية يحتاج إلى دراية وذراية.

4. التأريخ العددي في بديعة البيان للحافظ بن ناصر الدين الدمشقي:

تعدّ "أرجوزة في التراجم على طريقة مبتكرة في تاريخ الوفيات"³²، نظمها الإمام ابن ناصر الدين الدمشقي، تمثل نوعاً مستقلاً من التصنيف العلمي الحسابي العالي الشأن، تبين عن سعة اطلاع وتحكم في علوم كثيرة، انطلاقاً من الحديث إلى التراجم إلى الأنساب، وهي نمط مبتكر تؤرخ للأعلام حتى القرن 19، جاءت هذه الأرجوزة طبقات ذات تسلسل زمني، معتمداً حساب الجمل في الإشارة إلى وفاتهم؛ أي اعتمد القيمة العددية للحرف في ذكر وفاة كل عَلمٍ³³، وقد شرح هذه المنظومة الكاتب نفسه (الحافظ بن ناصر الدمشقي) في كتابه (البيان لبديعة البيان) فيقول في مقدمة الكتاب: "فهذه إشارة ملخصة العبارة إلى تراجم الأعيان المنظومين في (بديعة البيان) يحل منظومها، وتبدي مكتومها مع إطلاقها من الإطالة حقيقة، فهي حاشية مطلقة لكنها دقيقة"³⁴.

يمثل التأريخ بحساب الجمل فناً جديداً بديعاً يجمع بين البديع والقافية والعروض والحساب؛ وهو أسلوب مميّز في ترميز التواريخ وتعميتها، وقد عمد صاحب الكتاب إلى هذا الأسلوب، وزاده دقة وبدعة اعتماده التسلسل الزمني وفق طبقات وهذا نموذج تصنيفي فريد من نوعه، مقسماً منظومته إلى 25 طبقة³⁵، يجمع ألفاً ومئتين وأحد عشر مترجماً، ويبين ذلك في منظومته فيقول³⁶:

وهذه منظومة تنبيهها ... ذكرت موت الحافظين فيها
ولا تظن أنني نظمت ... جميعهم بل جُلُّهم ذكرت
على الطباق موته مرتب ... تاريخه من هجرة فيحسب
وفاتهم مدرجة في الوصف ... مرموزة بأول من حرف
على حساب جُمْل تلوح ... غير أناس موته صريح
وفي وفاة معشر خلاف ... غير الذي أذكر لا يضاف
ونحو بعد إن أتى خذ نقله ... في سنة بعد المسمى قبله
وإن أتى الأمر وعُدَّ كُلُّ ... ونُسِبَ مُعَرَّفٌ ومثْلُ

وهذه نماذج من المنظومة نبين من خلالها هذا الفن البديعي³⁷:

يضيء جود السابق العتيق	ابن أبي قحافة الصديق
$10 + 3 = 13$.	

والصديق هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي، وتاريخ وفاته 13 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية لحرفي الياء والجيم.

ثم السعيد المرتضى الفاروق	جماله كلامه الصّدوق
$3 + 20 = 23$.	

والفاروق هو أبو حفص عمر بن الخطاب، وتاريخ وفاته 23 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية لحرفي الجيم والكاف.

ثم ابن عفان له هداية	مسابق أبو الحسين الغاية
$35 = 5 + 30$	40

وابن عفان هو أبو عثمان بن عفان الأموي، وتاريخ وفاته 35 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية لحرفي اللام والهاء.

وأبو الحسين هو علي بن أبي طالب، وتاريخ وفاته 40 للهجرة، وهو القيمة العددية لحرف الميم. هذا البيت جمع بين علمين من الخلفاء الراشدين، وجمع بين تاريخ وفاتهما ملغزا في أوائل الكلمات، من الشطر الأول والشطر الثاني.

سعد همام ناسك وقولوا	حفظ أبي هريرة نبيل
$55 = 50 + 5$	$58 = 50 + 8$

أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص توفي سنة 55 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية للحرفين الهاء والنون، وأما أبو هريرة فهو عبد الرحمن بن صخر، حافظ الصحابة، توفي سنة 58 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية لحرفي الحاء والنون.

الجني عقبة شبیه	وابن الحصين بارع نبیه
	$52 = 50 + 2 + 6$

وأما ابن الحصين فهو أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي، توفي سنة 52 للهجرة وهو مجموع القيمة العددية للحرفين الباء والنون.

وأما الجهني فهو عقبة بن عامر الجهني أمير معاوية على مصر، توفي سنة 58 للهجرة، وهو مجموع القيمة العددية لتاريخ وفاة ابن الحصين مضافا له القيمة العددية لحرف الواو:

$$58 = 6 + 52 = (50 + 2) + 6$$

5. خاتمة:

تحتزن المخطوطات والتصانيف والتأليف العربية كنوزا معرفية، وجب البحث فيها والنبش في نوادرها، ويمثل هذا البحث محاولة منا تسليط الضوء على نماذج من التراث العربي من مخطوط وأشعار وكتب، لنصل إلى تأصيل علمي منهجي لعلم التعمية عند العرب، توصلنا من خلاله إلى مجموعة من النتائج:

- 1- المخطوط العربي لم يلق حظه الكافي من الدراسة والبحث والتحقيق، ولو وضع هذا العمل النبيل في مكانه الحق لكشفنا أسراراً فريدة وحقائق باهرة؛
- 2- علوم اللغة العربية مبنية وفق جوهر منطقي رياضي (منطق المجموعة، العلاقات، التباديل، العامل، الدائرة...)
- 3- تتعاقد علوم اللغة العربية بعضها بعضاً، تؤسس لنظرية لغوية وفق منهج علمي رصين؛
- 4- التعمية عند العرب رياضة ألبست لباس اللغة، تؤرخ بالشعر، وتختزل المعاني بالأرقام، وتلغز بالرموز، وتكشف أسرارها بالحساب ومعرفة القوافي والأوزان؛

- 5- الخليل بن أحمد أول من ألف في التعمية، وتمثل أعماله في كتاب العين وعلم العروض والقافية والخط والصرف نماذج تؤكد ذلك؛
 - 6- التشفير الحديث ينطلق من التعمية عند اللغويين العرب أمثال الخليل والكندي وابن دنيير، ويتقاطع مع أعمال أخرى كالعروض والخط العربي والمعجم؛
 - 7- التأريخ العددي نموذج فريد من نماذج التعمية ومثال واضح يبرز سبق العرب إلى توظيف الترميز العددي في علوم اللغة؛
 - 8- أحسن العرب توظيف حساب الجمل في كتابة الأشعار وحفظ الأسرار، ومعلمة الآثار، فمزجوا العروض والرقم والتاريخ والقافية في بيان بديع؛
 - 9- تعددت طرائق التعمية عند العرب فتعددت معها طرائق فكها، بين طرائق لغوية كتآلف الحروف وطرائق رياضية كإحصاء الكلم والاحتمالات والتوافيق، وطرائق أخرى، كمعرفة المواد وتفاعلاته ومعرفة الخطوط وأنواع الورق.
- الهوامش:

- 1 - ينظر: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أدب الكتاب، تح: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1994م، ص 194.
- 2- ينظر: السعيد بنفريجي، الموجز في الشعر المغربي المغرب، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 1998م، ص 19.
- 3- جلدكي، كنز الاختصاص ودرة الغواص في معرفة أسرار علم الخواص، دط، دت، ص 237 - 239.
- 4- ينظر: محمد ماراياتي وآخرين، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1987م، ج1، ص 13 و14.
- 5- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 33 - 35.
- 6- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 43.
- 7- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 49 - 53.
- 8- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 109.
- 9- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 114.
- 10- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 128.
- 11- محمد عبد الرحمن مرحبا، الكندي فلسفته، منتخبات، منشورات عويدات، بيروت - باريس، ط1، 1985م، ص 12.
- 12- ينظر: المرجع نفسه، ص 13 و14.
- 13- ينظر: عمر فاروق الطباع، الكندي فيلسوف العرب والإسلام، المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص 127 و128.
- 14- ينظر: المرجع نفسه، ص 163 - 166.
- 15- محمد ماراياتي وآخرين، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، ج1، ص 161 و162.
- 16- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 171.
- 17- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 194.

- 18- ينظر: محمد مراياي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1996م، ج2، ص 43 - 50.
- 19- ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 52 - 54.
- * يقول علي حسين عبد القادر في مقال عنوانه: كتاب البرهان في وجوه البيان (تصحيح خطأ علمي، وتحقيق شخصية كتاب ورد اعتبار مؤلف طغى على اسمه الزمان): أن الكتاب طبع جزء منه قدر ثلثه باسم (نقد النثر)، حرره وأخرجه الدكتور طه حسين، والأستاذ عبد الحميد العبادي، منسوباً إلى أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، واعتمد مخرجا نقد النثر على مخطوطة بمكتبة الأسكوريال رقم 243 من فهرس درينبرغ. وعثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي تحت عنوان (كتاب البرهان في وجوه البيان) وعند مقابله مع كتاب (نقد النثر) وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع، وتزيد المخطوطة التي بين أيدينا على المطبوع بمقدار ثلثي الكتاب، ولهذا مخطوطتنا هي النسخة الكاملة للكتاب، وقد ذكر في أول الجزء المفقود من النسخة الأسكوريالية اسم الكتاب كاملاً واسم كاتبه، وهذا يطل نسبة الكتاب إلى قدامة بن جعفر. بين علي حسن عبد القادر نسبة كتاب البرهان في وجوه البيان وقدم أدلة كثيرة في مقاله هذا الصادر عن مجلة الرسالة العدد 801، سنة 1948م. وحقق هذه المخطوطة مرة أخرى خديجة الحديثي، وأحمد مطلوب، ونشرته مطبعة العائدي ببغداد سنة 1967.
- 20- ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص 84.
- 21- ينظر: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967م، ص 425 - 434.
- 22- ينظر: المرجع نفسه، ص 435 - 438.
- 23- محمد مراياي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، ج2، ص 233.
- 24- المرجع نفسه، ج2، ص 312، وحقق هذه الرسالة محمد بن عبد الرحمن الهدلق، ونشر ذلك في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الأول، العدد 32، جانفي 1988، وبين أن هذه الرسالة نسبها إلى ابن طباطبا، ياقوت الحموي، وإسماعيل باشا البغدادي وأسمياها (كتاب في المدخل في معرفة المعنى من الشعر)، ونسبها إليه صلاح الصقدي، وفؤاد سركين، ومحمد زغلول سلام، وعبد العزيز المانع، والنسخة المعتمدة محفوظة بمكتبة الفاتح - اسطنبول، ونجد معظم رسالة ابن طباطبا ألحقت بكتاب (التنبيه على حدوث التصحيف)، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، على أنها جزء منه في التنبيه إلا مقدمتها وجزء يسير من أولها، وللكتاب نسختين حقق أحدها الدكتور محمد أسعد أطلس، وحقق الثانية الشيخ محمد حسن آل ياسين، وقد وردت في الجزء الأخير من الباب الأخير (السابع)، بعنوان: في نمط من معني الشعر يصلح أن يحاور به المصحف.
- 25- المرجع نفسه، ج2، ص 336.
- 26- المرجع نفسه، ج2، ص 381.
- 27- المرجع نفسه، ج2، ص 382.
- 28- ينظر: أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م، ص 51.
- 29- أحمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، ص 98.

- 30- ينظر: المرجع نفسه، ص 137 و138.
- 31- ينظر: حسين رمضاني، الفلك عند علماء المسلمين وعلاقته بعلم أسرار الحروف، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، م10، ع: 1، 2022م، ص 1348 و1349.
- 32- الزركلي، الأعلام، ج6، ص 237، نقلا عن: الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، بديعة البيان عن موت الأعيان، تح: أكرم البوشي ومحمد الأرنؤوط، دار ابن الأثير، الكويت، ط1، 1997م، ص 5.
- 33- ينظر: المرجع نفسه، ص 7 - 9.
- 34- الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي، التبيان لبديعة البيان، تح: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، إصدارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، م1، ص 123.
- 35- الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي، بديعة البيان عن موت الأعيان، تح: أكرم البوشي ومحمد الأرنؤوط، إصدارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، م1، ص 35.
- 36- المرجع نفسه، ص 46.
- 37- المرجع نفسه، ص 7.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. أحمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م.
2. أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984م.
3. أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، أدب الكتاب، تح: أحمد حسن بسيح، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1994م.
4. جلدكي، كنز الاختصاص ودرة الغواص في معرفة أسرار علم الخواص، دط، دت.
5. الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، بديعة البيان عن موت الأعيان، تح: أكرم البوشي ومحمد الأرنؤوط، دار ابن الأثير، الكويت، ط1، 1997م.
6. الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي، التبيان لبديعة البيان، تح: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، إصدارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر.
7. أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967م.
8. السعيد بنفرجي، الموجز في الشعر المغربي الملغز، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 1998م.

9. عمر فاروق الطباع، الكندي فيلسوف العرب والإسلام، المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص 127 و128.

10. محمد عبد الرحمن مرحبا، الكندي فلسفته، منتخبات، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ط1، 1985م.

11. محمد ماراياتي وآخرين، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1987م.

المقالات:

1. حسين رمضاني، الفلك عند علماء المسلمين وعلاقته بعلم أسرار الحروف، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، م10، ع: 1، 2022م.